فنان مصري يجمع بين حسن فتحي واندي وارهول . شانت أفيديسيان : القاهرة ... ويا لها من مدينة !

المدينة التي تسحرنا بألوانها الغنية وشوارعها الحية الصاخبة، دخلت لوحة الفنّان المصري شانت أفيديسيان الطافحة بروح النكتة. تتكرّر في هذه اللوحات التي عرضت أخيراً في لندن، رموز من الذاكرة الشعبية، بألوان مستقاة من الماضي العريق، وتقنيات تذكّر بفنّ الأميركي اندي وارهول الذي ألغى الحيز الفاصل بين الملصق الدعائي وما يسمى بـ "الفن الراقي"، جامعاً بين لقطة الكاميرا وريشة الرسام.

ماذا يجمع بين أم كلثوم وجمال عبدالناصر والملك فاروق وليلى مراد، أو بين "أكبر نشال في مصر" والراقصة ساميا جمال والمعماري حسن فتحي؟ مصر طبعاً. الا ان الفنان شانت أفيديسيان يطرح علينا أسئلة أبعد من الجغرافيا وأكبر من السياسة.

يضعنا الفنان، من خلال أعمال معرضه اللندني في متحف لورد ليتون في كنزينغتون، أمام حقيقة هي من شروط وجودنا الانساني الحديث. فنحن خلَقنا من أبطالنا وأرذالنا صورة أيقونة تخاطب ذاكرتنا الجماعية وتقيم في لاوعينا مثل الاحلام النهارية. إنها صورة واقع نسي جذوره الاجتماعية، فصار شكلاً تحرر من أصله، ليعود فيرسم لنا واقعنا.

وكان لهذا المعرض المصري جداً، والعالمي جداً كذلك، ان يأتينا في اسبوع لم تخل معه اي صحيفة او مجلة من المقالات حول ظاهرة شي غيفارا كأكبر ايقونات العالم انتشاراً. فملصقات شي احتلت جدران غرف المراهقين ومقرّات الثوريين وأكثر البيوت بورجوازية ومحافظة. ولم يعد مهماً ما اذا كان شي ثورياً سياسياً، مناصراً للفقراء، قائداً لكفاح مسلح، أو اذا اختلف مع كاسترو أو ناصره. قليلون هم الذين علّقوا صورته لسبب أو لآخر من هذه الأسباب. فوجهه الأليف ولحيته السوداء وقبعته المرفوعة فوق جبينه العريض، صارت أشهر من ابتسامة الجوكوندا وربما أكثر نجومية من مارلين مونرو. شي غيفارا أيقونة بكل معنى الكلمة، اي ان صورته استقلت بحياتها التي هي اقوى من معناها، وتحولت إلى معانٍ صاغتها رغبات وهواجس تخطّت الاقطار والاعمار وقفزت فوق حدود الطبقات.

ظاهرة البطل أو النجم / الايقونة، لم تقتصر على المجتمع الغربي واستهلاكه. فهي نتيجة توسع الاستهلاك وديموقراطيته، رغبنا ذلك ام كرهنا، والسينما، بنجاحها الجماهيري، غزت قلوب الناس وأدخلت النجوم في كل بيت بعد أن كان الفن يقتصر على المتاحف النخبوية، وصالونات أرستوقراطية أو ثرية. هكذا أدخل أفيديسيان شوارع القاهرة وزحمة سيرها وألوان ملصقاتها الفرِحة، إلى لوحاته التي امتد بعضها على حائط كبير وتألف بعضها الآخر ضمن اطار متواضع.

وُلد شانت أفيديسيان في القاهرة عام 1951، ودرس في مونتريال وباريس، وكثيراً ما تأثر بآراء حسن فتحي وقيمه الجمالية. إلا أن عالمه، مختلف عن عالم أستاذه. فإن التقيا عند الاهتمام برغبات شعبهما وذوقه، فإنهما ابتعدا بعد عالم الفلاحين عن عالم المدينة، وبعد مادة الطين البسيطة عن زخرفة المدينة وعلامات اغراءاتها.

أم كلثوم حاضرة في أغلب لوحات هذا الفنّان الذي يروي أنّه انطلق في تجربة "الايقونات المصرية" هذه، عندما طلبت إليه "بياعة سوداني" بائعة فستق أن يرسم لها نجمتها الكبيرة أم كلثوم. فإذا بـ "ستّ الكلّ" تنافس عبدالناصر على تصدّر مجموعة من اللوحات التي تجسّد رؤيته للذاكرة الجماعية. ولكن العلاقات الهيروغليفية والفرعونية حاضرة أيضاً في ذاكرة لوحاته الأنيقة. والملك فاروق أو الامبراطورة فوزية لا يختلفان هنا عن عبدالناصر أو الممثلة ماجدة، بل تتجاور كلّ هذه الرموز مثلما تتجاور النجوم في الملصقات والدعايات التي تغطّي جدران القاهرة.

الألوان المائية، بزرقتها الشرقية وتسرب البرق الذهبي اليها، تأخذنا إلى ماضٍ بعيد، لا زالت القبور الفرعونية في وادي الملوك تضم بقاياه. لكن الزخرفة الكنسية، في المقابل، تحملنا إلى نيويورك، حيث ضيّع اندي وارهول وكلاوس أولندبرغ الحيز الفاصل بين الملصق الدعائي وما يسمى بـ "الفن الراقي"، وجمعا بين لقطة الكاميرا وريشة الرسام.

شانت أفيديسيان يرفض كل صلة مع اندي وارهول: "أنا مصري، ومصادري وتقنياتي مصرية. أرفض استعمال الزيت، لأن الزيت مادة غربية واستعمل ورقاً عادياً، بما فيه ورق تغليف". لا يجد أي جدوى في البحث عن التراث أو الحداثة في لوحاته، فهو يرسم مدينة. ويا لها من مدينة. القاهرة التي تسحرنا بألوانها الغنية وشوارعها الحية والضاجة وبروح النكتة التي طالما تعالت على الفقر. وروح النكتة من ميزات لوحات الفنان، وهي ربما كانت أبرز الصفات التي تحدد هوية اللوحات وفرديتها. والقاهرة هي أيضاً هوليوود العالم العربي، ساهمت بجمالياتها في ازكاء خيالنا، وتشكيل ذوقنا، وخلقت بأبطالها ونجومها صوراً ورموزاً آن لما يسمى "بالفن الراقي" أن يعترف بها.

يقول شانت أفيديسيان إنه لا ينتمي إلى المدرسة الغربية في فنه، فهو يستعمل الستنسيل والغواش، ولا يعتبر أن لأسلوبه علاقة بالتجارب الخمسينية والستينية في أميركا. فمن قرية الفرافرة في مصر استوحاه، حيث وجد ان النساء يزينّ بيوتهن بحفر اشكال من الزهور تصطف بتكرار على الجدران. ولا شك في أن شانت فنان مصري أولاً، لكنه - ولو رفض هذا التصنيف - فنان شديد الحداثة أيضاً: من أبناء الحداثة العليا، وبداية "ما بعد الحداثة" بشكل خاص. إذ أدخل المزاح إلى فنه، وأجاد استعمال "المبتذل" كمفردة جمالية، وتجاورت في لوحاته الأزمنة والشخصيات المتنافرة التي غدت ذاكرة للمستقبل.

ويلجأ أفيديسيان إلى الصورة الفوتوغرافية حتى في لوحاته الهيروغليفية. كما يجعل من نجوم الشعب وأدوات مطبخهم مواضيع تقدّم في صالات العرض العريقة. فالفنان يخاطب أيقونات ذاكرة شعبية، ويمازحنا مثلما مازح الشعب أيقوناته ومجدها في يوم من أيام عبر التاريخ. وربما عن قصد أو عن غير قصد، رسم الفنان لوحاته على ورق عادي.
ويستهويني أن يكون خياره هذا عائداً إلى اعتقاده أن أبدية الفن أقل أهمية من بهجة اللحظة الحاضرة.